

الإنقاذ تكمل عدة .. الدولة المهدية

١٨٨٥-١٩٩٨ .. ١٩٨٩-٢٠٠٢

د. العوض محمد احمد

بحلول الثلاثين من يونيو ٢٠٠٢ يكون شعب السودان قد أبتلى وخلال قرن من الزمان بتكرار تجربة نظام حكم همجي أدى في نهاية القرن التاسع عشر إلى نزوح قسري لمجموعات قبلية متكاملة من مواقعها نحو عاصمة البلاد، مؤديا في ذلك الحين إلى مجاعة سنة "٦" الشهيرة. اليوم يتكرر المشهد مع اختلاف تطور الوعي! فهاهي العاصمة تكتظ بجحافل النازحين والجوع يستشري في كل بقاع السودان، كل هذا تحت مظلة الدولة الإسلامية المزعومة!
قام الخليفة عبد الله التعايشي بإشعال أوار حروب تحت دعوى الجهاد الديني وهو يسعى لإضفاء جهله و عدم مقدرته في توطيد أركان حكم في السودان! و هاهي الإنقاذ تسلك ذات الطريق، و إن أتجه خليفة المهدي بجنوده نحو الشمال فخليفة الإنقاذ أتجه بها نحو الجنوب في ظل تغير موازين القوى الاقتصادية والعسكرية .
و كأننا نشهد نسخة معدلة للدولة المهدية! أخذين اعتبارا إن نظام الإنقاذ قد أقر و في اكثر من مناسبة بأنه يتمثل مشهد دولة الإسلام الأولى في السودان "المهدية".

أغتال الموت عراب الدولة المهدية، فتخبط الخليفة في حروبه الداخلية والخارجية حتى أضحى السودان ساحة معركة كبرى! اليوم اغتالت عصابة العشرة عراب الإنقاذ! و دخل البشير في دوامة لا فكاك منها، فمن جانب هاهي الإنقاذ تخوض حروبها الجهادية! ومن نافذة أخرى تسترضي المارد الأمريكي الجريح في حربه ضد الإرهاب الذي سمي إسلاميا وهو ما يعني مرادفة الجهاد للإرهاب! فكان لا بد للفوضى أن تعم و لابد للجوع و التشرذم أن يسود! و كان لزاما على شعب السودان و بإسم الإسلام أن يبنتلي على الأرض مرتين! فهل يشفع ذلك لأهل السودان يوما ما!

على أيام الدولة المهدية خرج السيد على الميرغني نحو الجارة مصر حفاظا على سلامته و زيادة طريقتة! و في زمن الإنقاذ خرج الجميع الصادق المهدي، محمد عثمان الميرغني و كان قد سبقهم قائد الحركة الشعبية! و في زمان هزيمة الحكم المهدي دخل الميرغني على صهوة جواد مصري المولد بريطاني السانس، لتمحى دولة المهدية الأولى و يحل بأرض السودان، ليس تحررا من أو هام سلطة دينية، بل نظام حكم استعماري أستقرد السودان عن كل العالم بأن سمي ثنائيا!
في زمان الإنقاذ! أختار الصادق المهدي أن يقفز لداخل المركب عله ينتزع ميراث عامل جده المهدي، في ظل غياب النسيب المحسوب على آل البيت، و لكن الخليفة الجديد في الخرطوم و من حوله عصابة العشرة لا يعترفون لآل المهدي بتاريخ و هو ما عمي عنه الحفيد و النسيب!

إن جمع الخليفة عبد الله التعايشي حوله الأشراف "رؤوس الطرق الصوفية"، فإن الخليفة البشير لم يألو جهدا أن يسير في ذات الطريق، و لكن أهل الطرق الصوفية في هذا الزمان ما عادوا رجال دين فقط، بل تقمصتهم السياسة بدائها و مكرها، و هاهي الإنقاذ تفرد جناحيها للشريف المأزوم في فكره و مبارك الهارب من بيت الطاعة المهدي، لتضيف أبعادا جديدة للمشكل السوداني!

بعد ثلاثة عشر عاما على قيام الدولة الدينية الثانية في تاريخ السودان تبدو الصورة و كأنها تعبير عن أحوال قرن مضى، فهاهي بلاد الفور تلعب ذات الدور، و لم يجد نظام الإنقاذ من مفر سوى تجريد قواته قتلا و تشريدا لأبناء الإقليم و لكن بمحاولات إيهام إن الصراع قبلي- عشائري لا يد للإنقاذ فيه، و هاهم أحفاد عثمان دقنة يوجعون خاصرة الإنقاذ و هم الذين كان مرجوا دعمهم لمشروع حضاري فصل وفق أفكار تجازها التاريخ. و أختطف جنوب الحركة الشعبية رأس رمح مواجهة النظام الإنقادي حيث لم يعد الصراع عرقي- ديني-ثقافي بل طغت عليه المعادلة الاقتصادية و النهب المنظم، لمقدرات البلاد، الذي أستعر و إكتشاف آبار النفط.

فهل تأفل الدولة الإسلامية الثانية في مواجهة ظروف داخلية وخارجية تقول بتجاوز التاريخ لمنطلقات المهديين الجدد!

ومن له أن يركب حصان النصر في يوم ماتم نظام الإنقاذ!

لم يأتي الميرغني بجديد سوى حكم استعماري أوصل السودان قبل قرن مضى، و كان لزاما لذلك أن يحدث! فلم يكن الميرغني حينها معبرا عن تطلعات مجتمع سوداني وليد، بل كانت إنتصار لفصيل طائفي داخل اللحمة الاجتماعية السودانية.

اليوم يطل التجمع الوطني الديمقراطي وهو أكثر قدرة على مواجهة الإشكالات التي تحيط بتطور المجتمع السوداني، التجمع لإنقاذ أهل السودان من نظام الإنقاذ المتأسلم! وهو يضم بين جناحيه توازعات أهل السودان العرقية والروحية و إلتزاماته الثقافية، فالتجمع مؤهل اليوم أن يقود مجتمع السودان نحو بناء وطن يسع الجميع ويفخر به الجميع.

دخول الميرغني على صهوة جواده الإنجليزي-المصري وحد شعب السودان نحو يوم إنعتاق تأصل في ١٩/١٢/١٩٥٥ حين أعلن نواب أهل السودان ميلاد الوطن الأمل. ويمهر دخول التجمع الوطني الديمقراطي على صهوة جواد عربي إسلامي-أفريقي مسيحي ميلاد مجتمع موحد يصيغ السودان القادم في القرن الحادي والعشرين.